التاريخ:04/04/2008 **الشيخ الطبيب محمد خير الشعال**

((سلسلة قوانين القرآن))

﴿ ooلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ oo(43) ﴾ [فاطر]

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله خير نبي اجتباه وهدى ورحمة للعالمين أرسله،أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره، اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي عل طاعة الله، وأذكركم بأني وإياكم عبيد وشأن العبد في هذه الحياة أن يطيع سيده وسيدنا وربنا جل جلاله أمرنا بالطاعة ووعدنا عليها الجنة وقد نهانا عن معصيته و أوعدنا بالمعاصي النار ونحن قوم ضعاف لا نطيق العذاب ولا نطيق البلاء ولا نطيق الحريق .

إنه من ﴿ ooزُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185) ﴾ [آل عمران] فقدموا لأنفسكم

إنه من ﴿ ooيَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) ﴾ [الزلزلة]

ثم أستفتح بالذي هو خير يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل :

﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) ﴾ [آل عمران]

وقال الله تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43) ﴾ [فاطر]

نحن في الخطبة الثالثة عشر من سلسلة السنن الإلهية في القرآن أو قوانين القرآن .

ومرة جديدة أيها الإخوة :

في القرآن قوانين نواميس سنن تحكم كل هذا الكون لا تتبدل ولا تتغير ولا تتحول ولا تعدل ولا تحابي ولا تميل لجهة دون جهة منم فعل مقدماتها نال نتائجها الذي يوافقها يفلح والذي يخالفها يهلك .

رب العالمين وضع أنظمته في هذا القرآن ونحن إذا قرأنا القرآن باحثين عن القوانين التي فيه ملتزمين بمقدماتها نلنا نتائجها وإلا فقد قالوا لا تغالب نواميس الله فإنها غلابة .

تحدثنا لماذا هذه السلسلة، وتكلمنا عن السنن الإلهية في التغيير، وعن السنن الإلهية في النصر ، وعن السنن الإلهية في الابتلاء، وعن السنن الإلهية في الهداية والضلال، وعن السنن الإلهية في الإيمان والعمل الصالح، وعن السنن الإلهية في الذنوب والسيئات، وفي الظلم والظالمين، وفي الحياة الطيبة والمعيشة الضنك، وفي البقاء للأنفع، وفي تحصيل الألفة والمنفعة،وتحدثنا عن البقاء للأنفع وهو قانون رباني، وتحدثنا عن ﴿ ooالصُّلْحُ خَيْرٌ oo (128) ﴾ [النساء] وهو قانون إلهي .....

وعنوان خطبة اليوم : ﴿ ooلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ oo(43) ﴾ [فاطر]

وهو قانون كوني وسنة إلهية ونظام رباني . ﴿ ooلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ oo(43) ﴾ [فاطر]

المكر: هو صرف الغير عما يقصده بحيلة , صرف غيرك عما يريده هذا الغير بحيلة منك .

والمكر نوعان: مكر محمود ومكر مذموم .

المكر المحمود: هو ما يتحرى به فعل جميل ، و المكر المذموم: هو ما يتحرى به فعل قبيح .

فمن الأول قال الله تعالى : ﴿ ooوَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (54) ﴾ [آل عمران]

ومن الثاني قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ oo(30) ﴾ [الأنفال]

والإسلام أيها الإخوة دعا المسلم أن يكون ذكياً لبيباً حاذقاً داهيةً لكن على أن يستخدم هذا الذكاء وهذا الحذق وهذا الدهاء في فعل الخيرات وفي دفع المنكرات، أما إذا استخدم هذه النعم في الشرور والآثام فقد حول النعمة إلى نقمة .

تماماً كما أن الإسلام دعا المسلم أن يكون غنياً ثرياً لكن على أن يستخدم نعمة الثراء والغنى في فعل الخيرات ودفع المنكرات، فإذا استخدم نعمة المال في الشرور والآثام أو جمعها من شبهات وحرام فقد حول النعمة إلى نقمة .

والإسلام يطلب منك أن تكون ذكياً لبيباً فطناً وإن استطعت أن تكون داهيةً فكن على أن تستخدم الدهاء في الخير .

واللافت أيها الإخوة أن دهاة العرب أربعة المؤرخون قالوا أشد الناس ذكاءً مروا على العرب أربعة رجال :معاوية بن أبي سفيان , وعمرو بن العاص , والمغيرة بن شعبة , وزياد بن أبيه .

واللافت أن هؤلاء الأربعة مسلمون .

لقد استطاع الإسلام أن يجذبهم إلى صفوفه ليكونوا مسلمين بل في الصفوف الأولى في الإسلام، لقد استطاع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يحيط بهم وبعقلهم ليجعلهم جنوداً يذودون عن الإسلام ويتتلمذون على يدي أكمل الناس عقلاً وقلباً و خلقاً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وهكذا الإسلام وإلى اليوم إنه يقتحم حصون أذكى الأذكياء فتسمعون في كل يوم أو في كل أسبوع أو أكثر أو أقل أن رجلاً من كبار العلماء أو من كبار الأذكياء قد وضع أقلامه في ساحة الإسلام و قد دخل في هذا الدين مقبلاً عليه .

بينما غير المسلمين لعلهم يذهبون إلى بسطاء الناس إلى عامة الناس إلى فقراء الناس ليغروهم بشيء من مال أو مكانة أو جاه ليدخلوا في صفوفهم ويخرجوا من صفوف الإسلام .

الإسلام كان ولا زال يدعوك إلى الذكاء ويخاطب الأذكياء ويطلب منك أن تكون على درجة عالية من الفهم ومن الوعي .

لأن هذا الدين يريد رجالاً كباراً في صفوفه لكن على أن تستخدم نعمة الذكاء في إيصال الخير لك ولمن حولك وفي دفع الشر عنك وعن من حولك، أما من استخدم ذكائه ورجاحة عقله وفطنته في الشرور فإن القانون الإلهي يقول له كما في الآية 43 من سورة فاطر :

﴿ ooوَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ oo(43) ﴾[فاطر] فإن شروره وآثامه وذكائه الماكر الخداع سينقلب عليه .

وهذه سنة إلهية مضطردة لذلك أتبعها الله تعالى بقوله :

﴿ ooوَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43) ﴾[فاطر] ومعنى يحيق أي يحيط إحاطة تمنع الهروب يعني هذا المكر سيحيط به إحاطة كاملة لا يستطيع بكل ذكائه أن يفر منها .

ومعنى القانون أن من مكر مكراً سيئاً ليوقع الآخرين في ضرر وشر ومكروه بغير حق فإن مكره سيحيط به حتى يهلكه .

وفي الآثار: ثلاث من فعلهن لن ينجو حتى تنزل به , من فعل واحدة من هذه الثلاثة لن ينجو من هذه الحياة حتى تنزل به واحدة منها : من مكر أو بغى أو نكث .

اقرءوا إن شئتم ﴿ ooوَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ oo(43) ﴾[فاطر]

﴿ ooيَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ (23) ﴾[يونس]

﴿ ooفَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِoo (10) ﴾[الفتح]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((المكر والخديعة في النار))[البيهقي]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يدخل الجنة خب ولا خائن)) [الترمذي]

الخب : هو المخادع يقال بفتح الخاء وبكسرها .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الفاجر :**((00 الفاجر خب لئيم 00)**

[أحمد و أبو يعلى] أي خداع .

وقال تعالى في وصف المنافقين : ﴿ ooيُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ oo(142) ﴾[النساء]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((**مَلْعُونٌ مَنْ ضَارَّ مُؤْمِنًا أَوْ مَكَرَ بِهِ**)) [الترمذي] يعني من مكر مكراً سيئاً بمؤمن ملعون على لسان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

والقانون يقول: ﴿ ooوَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ oo(43) ﴾[فاطر]

ولعل قائلاً يقول: يا أيها الإخوة كثيراً ما نرى الماكر يمكر ويفيده مكره ويغلب خصمه بالمكر السيئ فكيف يقول: القانون إن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله؟ .

والجواب: أن الأمور بعواقبها ومن مكر به غيره ونفذ فيه المكر عاجلاً في الظاهر ففي الحقيقة والعاقبة أن الماكر هو الهالك والأمور بخواتيمها .

وإليكم هذه الأدلة الحياتية الأربعة عل أن المكر يحيق بأهله في عاقبة الأمر وحقيقته .

الدليل الأول نبي الله يوسف عليه السلام :

كما تعلمون مكر به إخوته ظلماً وحسداً في أول القصة، ونفذ مكرهم به في الظاهر، لقد ألقوه في غيابة الجب، وجاءوا أبوه بقميصه وعليه دم كذبن ومضى أمرهم حسب ما خططوا، لكن العاقبة كانت أن مكرهم أحاط بهم وحاق ونجا يوسف وأخذتهم السنين والقحط ودارت الأيام وصار يوسف الممكور به خازناً عند عزيز مصر وجاءوا هم أنفسهم الذين مكروا به قبل أربعين سنة جاءوا إليه يطلبون مساعدته وهم لا يشعرون أنه أخوهم .ومن العجب أن اليد التي امتدت إلى يوسف لدفعه إلى البئر هي نفسها اليد التي امتدت له وطلبت منه الصدقة.

﴿ ooيَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (88) ﴾[يوسف] ﴿ ooوَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ oo(43) ﴾[فاطر]

الدليل الحياتي الثاني :

أرسلت قريش وفد عمرو بن العاص إلى النجاشي قبل أن يسلم عمرو لإقناعه برد المسلمين الذين هاجروا إليه من مكة إلى الحبشة .

المسلمون المستضعفون هاجروا إلى الحبشة، قريش أرسلت داهيتها عمرو بن العاص مع وفد إلى النجاشي ليقنعوه برد المسلمين من بلده إلى مكة حتى يتفرغوا لتعذيبهم .

وصل عمرو مع الوفد يحمل هدايا كثيرة للملك ولبطارقته وأوحى إلى الملك أن هؤلاء الملأ صدبئوا وخالفوا دين قومهم وأنهم يقولون في عيسى عليه السلام وفي أمه قولاً لا يرضاه الملك .

كان المسلمون منذ أيام وأسابيع يعيشون في الحبشة آمنين دون أن يلتقوا الملك لكن لما سمع الملك بكلام عمرو والوفد استدعاهم .

هذه الخدعة التي جاءت لإيقاع المسلمين كانت سبباً للقاء المسلمين بالملك ثم عرضوا عليه الإسلام فأسلم ملك الحبشة النجاشي .

وإن تعجبوا فاعجبوا بأن النجاشي نفسه دعا عمرو بن العاص بعد حين وقال له: عجيب أمرك يا عمرو مع كل ذكائك وفطنتك ألم تعلم بأن محمد كان على حق .النجاشي دعا عمرو إلى الإسلام فأسلم عمرو بن العاص على يد النجاشي . المكر يحيق بأهله هذا دليل ثاني .

الدليل الحياتي الثالث :

ورد في تقرير من واشنطن بتاريخ 30 /3 /2008 قبل أيام في الأسبوع الماضي .

أجريت دراسة على عينة من المقاتلين الأمريكان في حرب العراق والبالغ عددهم سبعمائة ألف مقاتل، العينة كانت ألفين وخمسمائة مقاتل كانت النتائج أربعون بالمائة منهم من الجنود الأمريكان أصابتهم أمراض نفسية وعصبية ومنهم ما وصل إلى أمراض عقلية وهستيريا وهناك محاولات

انتحار فضلاً عن الهروب من العمل ﴿ . .فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ . . (2) ﴾[الحشر] وحاق المكر السيئ بأهله .

الدليل الرابع على أن المكر السيئ يحيق بأهله :

في المكتبات اليوم كتاب اسمه **المعجزة المتجددة في عصرنا** لمؤلفه صالح اليافعي جاءت طبعة عام 2004 المصرية في 850 صفحة كلها تتحدث عن إسلام أناس غربيين أو شرقيين بعد أحداث 11 أيلول [سبتمبر] هذه الأحداث التي أريد منها وقف المد الإسلامي في العالمين الشرقي والغربي . ومما جاء في هذا الكتاب من التقارير :

صحيفة نيو يورك تايمز الأمريكية تقول :

يعتنق الإسلام سنوياً خمساً وعشرين ألف شخص وتضاعف عددهم أربع مرات بعد أحداث سبتمبر .

صحيفة الإكسبريس الفرنسية تقول :

رغم الإجراءات ضد الحجاب الإسلامي والرموز الدينية الإسلامية يدخل عشرة أشخاص في الإسلام يومياً في فرنسا .

مؤسسة ويست الألمانية تقول :

في عام 2005 اعتنق الإسلام في ألمانية أربعة أضعاف من اعتنقه في عام 2003 .

القرآن الكريم بعد أحداث أيلول أكثر الكتب مبيعاً في العالم .

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (47)[ابراهيم]

﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (54) ﴾[آل عمران]

يا أيها الإخوة هذه أدلة حياتية أربعة تدل على أن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، وإن من سبر أخبار الناس وتواريخ العالم وقف على أخبار من مكر بغيره فعاد مكره عليه وكان ذلك سبباً في نجاته وسلامته يقف على العجب العجاب من هذه القصص والحوادث .

وكم رائشٍ ســـــهماً ليصـــــطاد غـــــيره وليس يحيق المكر إلا بأهله

أصيب بذاك السهم في ثغرة النحر وحافر بئر الغدر يسقط في البئر

إذا علمت ذلك فاحذر أن تمكر بمسلم أو أن تؤذي إنساناً بغير حق .

انتهت الخطبة في نهاية الخطبة **ما المطلوب منك؟ المطلوب منك ثلاثة أمور** :

أولاً : استخدم ذكائك ودهائك في جلب النفع للإسلام والمسلمين وهذا من شكر النعمة عليك، إذا أعطاك الله ذكاءً خارقاً، موهبة عقلية فذةً فاستخدمها في خدمة عباد الله المسلمين استخدمها في رفعة الإسلام حتى تكون من الشاكرين لهذه النعمة .

المطلوب ثانياً : إياك أن تستخدم مكرك في أذية الخلق بدون حق فإن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله .

المطلوب ثالثاً : كن فطناً حتى لا يخدعك الآخرون فإن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه **يقول :[لست بالخب و لا الخب يخدعني]**

استخدم ذكائك في نفع الإسلام والمسلمين لا تستخدم دهائك في إيقاع الشر بالآخرين كن فطناً حتى لا يخدعك الآخرون .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين .